

عزيز فهمي

والنضال من أجل
حرية الكلمة

دائماً ما تفرز الثورات أعلاماً كثيرة في مجالات الفكر والثقافة والأدب..
يوكبون أهدافها.. ويضحون من أجل شعوبهم المقهورة.
وهذا أحد أعلام الدعوة إلى الحرية.. وأحد أبطال الوطنية والجهاد ضد
الاحتلال.

ففي ريف مصر الأصيل.. ولد عزيز فهمي عام 1909 بطنطا وتلقى
تعليمه حتى الثانوية هناك.. ونال شهادة البكالوريا في مدرسة الجيزة
الثانوية.

وتفتحت عيونه على هذه الإرهاصات الاجتماعية والسياسية لثورة
1919.. فبدأ يعبر عن آرائه وأفكاره منذ حداثة سنه.

ونال ليسانس الآداب عام 1932 وليسانس الحقوق عام 1933 وكان
يجمع بين الدراستين.. ثم سافر إلى باريس وحصل على الدكتوراه في
القانون عام 1938 وكان موضوعها (الامتيازات الأجنبية في مصر
ومعاهدة مونثرو) وكانت أول رسالة من مصري عن هذه المعاهدة.

ويعود إلى مصر عام 1942 مملوءاً بالوطنية ليشغل منصب وكيل نيابة
بالمحاكم المختلطة.



لكنه سرعان ما ضاق بالعمل الحكومي فاستقال.. واشتغل بالمحاماة
والصحافة.. ووقف قلمه ولسانه على الجهاد في سبيل الحرية ومقاومة
الاستعمار والفساد.

ويعتقل عزيز فهمي أكثر من مرة.. متهماً بالغيب في الذات الملكية أو
التحريض على الإخلال بالنظام.. وفي سجن الأجانب معتقلاً في يونية
1946 كتب يقول:

كفالك عزاءً أنك اليوم أوحْدُ
وقد يسكن الغمْد الحسامُ المجرْدُ
يهون عذاب السجن والليل موحْشُ
ويُذهب عنك الحزنَ فيه تجلْدُ
وقد يؤسر الليثَ المنيعَ عرينهُ
ويرهب منه الصوتُ وهو مصفّدُ
أهبتُ بقومى أن يذودوا عن الحمى
ومازلت أدعوهم ومازلت أشهدُ
أهبتُ بقومى والخطوب زواحفُ
تلم بهم طوراً وطوراً تُهدّدُ
وأنذرتُ حتى بُحّ صوتى ولم أزلْ
ومصر تناديهم وصوتى يردد



ويقول فى قصيدة أخرى عن مصر وهو فى السجن أيضاً:
جارت عليها صروف الدهر واختلفت
أيدى الرماة فأهاً من أعاديها
راشوا لها السَّهم مسموماً فشتتها
وكاد لولا يد الرحمن يَصْمِيها
وأثخنوها جراحاً فى مقاتلتها
يا للجريمة من عدوان آسيها
تشعب الرأى والأحزاب سادرة
ومصر صابرة والصبر يضمنها
وكيف تنهض من أسرى كبلها
والقيد آمرها والقيد ناهيها

ويدخل عزيز فهمي البرلمان عام 1950 منتخبا عن حزب الوفد..
وكانت له مواقفه الوطنية المشهودة خطيباً وشاعراً مناضلاً.. وكثيراً ما دوى
صوته معارضاً لقوانين وقرارات تقييد الحرية أو الرقابة على الصحف.
كما كان معارضاً قوياً للمعاهدات مع الاحتلال.. مندداً بما يقوم به من
اعتداءات على الأمنين من بني وطنه.. ففي نوفمبر عام 1946 قال يندد
بالإنجليز حينما اعتدوا على المواطنين فى القاهرة والإسكندرية:



سلوا من سامها هذا العذابا
ومن شرع الأسنة والحرابا
سلوا جلادها بت يده
بأى شريعة فرض العقابا
أما ينهاه عقل أو ضمير
يرد له المحجة والصوابا
ضلال أن يعاتب مستبد
وأولى بالمسود أن يعابا
وجهل أن يخاطب غير أهل
فلا تحزن عليه إذا تغابي
يصع خده صلفاً وحقاً
ويوردها على ظمأ سرابا
ويبدو أن الشاعر هنا لم يكن يقصد الإنجليز فحسب وإنما كان يقصد
أيضا حكام مصر الذين كانوا يبالون الاستعمار ويهادنونه..
وينهى الشاعر قصيدته مخاطبا بنى وطنه بقوله:
ويا وطنى فديتك من جراح
إذا نكأت حملناها عذابا



وهل يأسو الجريح سوى جريح

يشاطرهُ الفجعة والصوابا

وطوبى لآلى ذهبوا فداء

إلى الرضوان واستبقوا الثوابا

بنى وطنى أهبت بكم زمانا

فلما بح صوتى قيل هابا

ولو نطق الجهاد كما نطقنا

لأسمعه الصدى عنكم جوابا

ولما اشتعلت معركة القنال بين الفدائيين والإنجليز (عقب إلغاء معاهدة 1936) فى عام 1951 سافر الشاعر إلى القنال وأسهم فى حركات المقاومة ضد الإنجليز.. واستهدف للقتل أكثر من مرة.

وتوفى عزيز فهمي فى أول مايو عام 1952 فى حادثة فاجعة.. فقد كان على سفر إلى الفشن فى الصباح ليتراجع فى إحدى القضايا وكان يستأجر سيارة خاصة.. فوقع له قبل العياط حادث فجائي قلب السيارة وهوى بها فى التربة الموازية للطريق فمات الشاعر غريقاً لكن السائق تمكن من القفز من السيارة والنجاة.. مما جعل أصابع الاتهام تشير إلى الملك الذى كان أعوانه يتربصون بالشاعر فى كل مكان.